عنوان المحاضرة: مارتن هايدغر وفينومينولوجيا إدموند هوسرل

الفئة المستهدفة: 3 ليسانس فلسفة عامة

المقياس: مناهج فلسفية معاصرة

مقدمة:

يجب أن نشير في بادئ الامر الى أن الفينومينولوجيا بحسب هايدغر(1889-1976) هي إغريقية و ليست هوسرلية ، و هنا سنحاول أن نبين طبيعة هذه الفينومينولوجيا و طبيعة المنهج الفينومينوبوجي عند مؤسس الفينومينولوجيا إدموند هوسرل(1859-1938) و كيف أسس لفينوبمنولوجيته الخالصة ، و تلك الرغبة التي تملكت هوسرل بأن يؤسس للعلم الكلي و الصارم .

1)الاصول التاريخية للمنهج الفينومينولوجي:

إن الإغريق لم يحدثوا تفريقا بين العلم و الفلسفة فكانوا ينظرون إليهما على أنهما الشيء عينه ، وهذا منذ أفلاطون و رغبته في إقامة العلم الكلي ، لكن وبعد إنشاء نظريات المعرفة ظهرت التوثرات داخل الأنساق الفلسفية فصار العلم علما و الفلسفة فلسفة فظهرت النزعات الموضوعية و الذاتية ، وجاء المشروع الهوسرلي في هذه الظروف و الفترات كمحاولة لمعاودة تأسيس حلم الأولين من الفلاسفة راغبا في قيام العلم الكلي ، فأقام الفينومينولوجيا باعتبارها علما صارما **« comme un science regoulus »**لكن تبقى الإجابة عن سؤال ما الفينومينولوجيا " **إجابة غير محددة أو غير نهائية و لربما لن يتم أبدا تحقيق ذلك مثلما أشار إلى ذلك موريس ميرلوبونتي"**[1]، لكن وبالعودة إلى مؤسس الفينومينولوجيا يبقى معنى الفينومينولوجيا يتطلب عودة إلى البدايات الأولى لظهورها ، أي البحث عن الأصل لإثبات النسب ، فكانت بهذا الفينومينولوجيا علم البدء الجديد حيث ستعاود طرح فكرة أصل الفلسفة ، و هذا ما سيحدث وثبا "Un Elan" نحو إقامة الفلسفة الأولى .

---

[1]- م م ، حوار الفلسفة و العلم ،سؤال الثبات و التحول ، عبد القادر بودومة ،المنهج الشامل أو الإنهاء الفينومينولوجي لجدل الفلسفة و العلم،الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،الجزائر ،ط2012،1،ص 246.

و نجد إدموند هوسرل يقول:"**أنا على يقين أن الفلسفة و عبر وسيط الثقافة الإنسانية بحاجة إلى أفكاري و إلى المناهج التي تمكنت من اكتشافها ، ولقد تيقنت بأنه الطريق الوحيد الذي بإمكانه السير بنا إلى حضارة مؤمنة و محمية من كل سيكولوجيا وصفية و مسلحة ضد السموم المدمرة ، طبعا إن هذا سيكون إلا بدءا متواضعا لكنه على الرغم من ذلك سيكون بدءا**"[2].

لكن تبقى الفينومينولوجيا من الناحية التاريخية مرتبطة بفلسفة و سيكولوجيا فرانس برانتانو و ستعرف توسعها و ظهورها الحقيقي و الفعلي مع إدموند هوسرل ، لكن هذا لا يعني أنه قبل هذه الفترة و قبل هذا التاريخ لم يكن هناك أي استعمال لمصطلح الفينومينولوجيا ، إذ نجد الفيلسوف الألماني "جوهان هانوتشر لومبارت(1728-1777) " المعاصر لكانط هو أول من أشار إلى هذا المصطلح سنة 1764 ، و كان يشير بها إلى تلك المظاهر الخداعة في التجربة الإنسانية . و في الفترة نفسها تقريبا نجد كانط إيمانويل (1724-1804) قد ميز بين الأشياء كما تبدو لنا أو المتعينة أمامنا و بين الأشياء في ذاتها.

أما هيغل (1770-1831) فقد أخذت الكلمة معه بعدا آخر حيث استخدمها في كتابه"فينومينولوجيا الروح" الذي درس فيه أشكال تطور الوعي من أبسطه إلى أعقده و أرفعه ، ورأى أن مراحل تطور الوعي هي متجهة نحو المطلق أو نحو بلوغ المعرفة المطلقة، إلا أن معنى الفينومينولوجيا الذي أدخله إدموند هوسرل في القرن العشرين هو مختلف عن نظيره الهيغلي.

2) تعريف الفينومينولوجيا:

وفي منتصف القرن التاسع عشر سيغدو مصطلح أو معنى كلمة " الظاهرة " مرادفا لكلمة الواقعة.و فيما بعد سيصبح معنى كلمة الظاهرة أقرب إلى المعنى الذي نفهمها به اليوم، أي المعنى الوصفي حيث سيستخدمها " **السير وليم هاملتون في محاضراته عن الميتافيزيقا عام 1858 بمعنى الدراسة الوصفية للعقل ، كما استخدمها إدوارد فون هارتمان بالمعنى نفسه في كتابه**

---

[2]- م م ، حوار الفلسفة و العلم ،سؤال الثبات و التحول ، عبد القادر بودومة ،المنهج الشامل أو الإنهاء الفينومينولوجي لجدل الفلسفة و العلم،المرجع السابق، ص 247.

:"فينومينولوجيا الوعي الخلقي1878" الذي حاول فيه أن يقدم وصفا كاملا لهذا الوعي أو الشعور.أما الفيلسوف الأمريكي شارلس بيرس فقد استخدمها بمعنى الإدراك الخادع أو الخيالات و الأحلام "[3].لكن الفينومينولوجيا في معناها المحدد فهي تشير إلى حركة أو مذهب فلسفي مؤسسه إدموند هوسرل و هي كلمة مشتقة من لفظ الظاهرة ، **"فكل ما يظهر يظهر في خبرة عينية ، و كل ما لا يظهر في خبرة أو تجربة من غير الممكن التصديق بوجوده ، ولهذا فإن هدف الفينومينولوجيا فهو دراسته الخبرات قصد بلوغ ماهياتها أو عللها الجوهرية"**[4].

و الفينومينولوجيا في المعجم الفلسفي الغربي هي لفظ مشتق من الظـــاهرة " Phenoménon" و الظاهرة تعني " **الحوادث الملاحظة بواسطة الحواس و التي تدور حولها المعرفة عامة"**[5]،أما في المعجم العربي فهي كلمة مشتقة من ظهر ، يظهر ، ظهورا و تعني **"ما ظهر من الشيء و أن ظاهر الشيء يقابل باطنه"**[6].و هكذا فقد رأينا كيف أشار كل من جوهان هانوتشر لومبارت و إمانويل كانط إلى كلمة فينومينولوجيا لكنهما استخدماها بمعنى خاص ومحدد ، لكن هيغل كان هو الذي أضفى عليها صبغة نسقية في كتابه" فينومينولوجيا الروح" إذ كان يطلق هذا المصطلح على " علم تجربة الوعي"، إلى أن أتى هوسرل الذي سيقدم تصورا مختلفا تماما عن كل التصورات السابقة التي تناولت هذا المفهوم ، حيث ستنشأ الفينومينولوجيا كما أشرنا في بداية هذا المبحث باعتبارها علما صارما، أي بوصفها اكتشافا لطريقة جديدة في التفلسف .فبهذا ستأخد الفينومينولوجيا طابعها المنهجي مع إدموند هوسرل الذي أعطى الصفة المنهجية لهذا المفهوم فأضحت ممارسة فكرية لها حدودها و إطارها التاريخي و المفاهيمي ، و أورثها لخلفه من بعده خاصة منهم الفلاسفة الوجوديون أمثال هايدغر و سارتر و موريس ميرلوبونتي ...الذين ساروا بها مضيفين ومعدلين

---

[3]- يوسف سليم سلامة ، الفينومينولوجياالمنطق عند إدموند هوسرل ، دار التنوير للكباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ،د ط، 2007، ص 10.

[4]- المرجع نفسه،ص10.

[5]- أحمد إبراهيم ، إشكالية الوجود و التقنيةعند مارتن هايدغر ، الدار العربية للعلوم ناشرون،منشورات الاختلاف الجزائر، ط1 ،2006، ص 50.

[6]- المرجع نفسه، ص 51.

نحو ممارسات جديدة عبروا من خلالها عن انفتاح هذا الفكر الفينومينواوجي الذي سيشمل جميع الميادين من فلسفة و علم و هذا المنهج الفينومينولوجي يقوم على قاعدة هامة و رئيسية تتمثل في :"**الذهاب إلى الأشياء ذاتها**"[7]، و هذه الفكرة مستمدة من مذهب فرانس برانتانو (1838-1917) أستاذ هوسرل و الذي زوده بأحد أهم أسس الفينومينواوجيا و التي هي القصدية كما سنتبين لاحقا.

و يعرف "جون فرنسوا ليوتارد" الفينومينولوجيا بقوله: "**دراسة الظواهر المتجلية لأول وهلة أمام الوعي ، و المقدمة كما هي قصد تحليلها و تتبع خصائصها من خلال ما يعرف بقاعدة التوجه نحو الأشياء نفسها بعيدا عن الأحكام الذاتية أو النظرة المسبقة التي من شأنها أن تحول دون بلوغ حقيقة الأشياء**"[8]، وهي أيضا "**علم الظواهر الخالصة**"[9]، و يفهم هوسرل من لفظ ظاهرة " **بأنها ما يظهر بذاته كعنصر أصيل لا يرتد إلى غيره، كما أنه لا يحجب وراءه شيئا غيره كالجوهر**"[10]،وهكذا فإن الفكرة التي يقوم عليها مذهب الظاهريات هي الرجوع إلى الأشياء نفسها، أي إلى الوقائع المحضة دون التأثر بالأحكام السابقة المتعلقة بها و استبعاد كل النظريات السابقة لمتعلقة أيضا بدراسة الواقع.

---

[7]- نبيهة قارة ، الفلسفة و التأويل ،دار الطليعة للطباة و النشر، بيروت ،لبنان ط1،1998،ص 35.

[8]- عبد الغني بارة ، الهرمينوطيقا و الفلسفة ، الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،لبنان،منشورات الاختلاف ،الجزائر،ط1،2008،ص 197.

[9]- المرجع نفسه،ص 201.

[10]- أحمد إبراهيم ، إشكالية الوجود و التقنية عند مارتن هايدغر، المرجع السابق،ص51.